

حَيْصَ بَيْصَ

تر. أ. بدلاع عباس

حَيْصَ بَيْصَ، لقب الأمير سعد بن محمد بن سعد الصَّيفيِّ التَّمِيميِّ، الشاعر، الأديب، الفقيه والعالم الشيعي في القرن السادس الهجري. ذُكرَ أنْ كُنيته أبو الفوارس ولقبه شهاب الدين، وقد منح لقبَ الأمير صلةً من السلطان سنجر السُّلْجُوقِي في سرخس لشِعر مدحه به (← حَيْصَ بَيْصَ، م.ن، ص228-231؛ أيضًا ← م.ن، مج1، مقدمة مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر، ص35). كان لقبه الآخر ملك الشعرا (ابن العديم، مج9، ص4269). كان جدّه لأبيه يسكن منطقة الكرخ في بغداد، وُلد حَيْصَ بَيْصَ في العام 492هـ في الكرخ في ناحية باب المنصور (م.ن، مج9، ص4262، 4269، 4271) هو من أحفاد الأكثم بن صيفيُّ، الحكيم العربي في العصر الجاهلي (← عماد الدين الكاتب، مج1، قسم شعراً العراق، ج1، ص202)، لذلك سُمِّيَ أيضًا الصَّيفيِّ (← ابن نقطة، مج3، ص643)، وابن الصَّيفيِّ (ابن الصابوني، ص371؛ الدميري، مج1، ص186). علمًا أنَّ هنالك من يشكُّ بهذه النسبة (← ابن خلَّان، مج2، ص365؛ ابن حجر العسقلاني، مج4، ص35). المينوي (مج1، ص161) استنادًا إلى ابن خلَّان قال: يبدو أنَّ حَيْصَ بَيْصَ كان إيرانيًّا.

معنى حَيْصَ بَيْصَ لغةً مأزقُ، وضيقٌ وشدة لا مخرج منه، نحوًياً بناءً على المشهور، أنَّهما اسمان جُعلاً واحدًا وبنيا على الفتح (← الجوهرى؛ ابن منظور مادة "بيص" ومادة "حِيص"؛ للاطلاع على الآراء الأخرى ← م.ن، صص.ن). وهذه الكلمة مستخدمة أيضًا في الأمثال العربية (← الميداني، مج1، ص224). ذُكرَ أنَّ سبب إطلاق هذا اللقب على الأمير سعد بن محمد، أنَّه استخدم هذه الكلمة في حديثه عن أحد الأشخاص، وأشار إليها في أحد أبياته، فاشتهر بهذا اللقب (← ابن العديم، مج9، ص4269؛ ابن حجر العسقلاني، م.ن، ص.ن). وفي رأي البعض أنَّه رأى الناس في شدة وضيق فقال: "ما بال الناس في حَيْصَ بَيْصَ؟" فلَقِبَ بهذا اللقب (← ابن خلَّان، م.ن، ص.ن، السبكي، مج7، ص91). بحسب ابن أبي أصيُّعَة (ص380)، أطلق ابن قَطَّانُ، الطبيب والشاعر الهجاء، والخصم اللدود لـحَيْصَ بَيْصَ هذا اللقب عليه.

منذ الثالثة عشرة اتجه حِيْص بِيْص لِاكتساب الْعِلْم، ودرس عِلْم النَّحْو عَلَى الفصيحي النَّحْوِيِّ، المدرِّس فِي المدرسة النَّظَامِيَّة فِي بَغْدَاد (ابن الأَنْبَارِي، ص 375)، ياقوت الْحَمْوَيِّ، مج 5، ص 1924). انْقَلَ بَعْد ذَلِك إِلَى الرَّيِّ ودرس الفِقَه وَالْمَسَائِلُ الْخِلَافِيَّة [اِخْتِلَافُ آرَاءِ الْفَقَهَاءِ] عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْوَزَّانِ، وَتَمَرَّسَ بِمَنَاظِرِ الْفَقَهَاءِ. كَانَ أَسْعَدُ الْمَيْهَنِيُّ أَحَدُ مَدْرِسِي النَّظَامِيَّة أَسْتَاذَهُ الْآخَرُ فِي الْفِقَهِ. أَمَّا أَسْتَاذَتِهِ فِي الْحَدِيثِ فَهُمْ أَبُو طَالِبٍ حَسِينٍ الْزِيَنِيُّ، وَعَلَى بْنِ طَرَادِ الْزِيَنِيِّ، وَأَبُو الْمَجْدِ مُحَمَّدِ بْنِ جَهْوَرِ الْوَاسْطِيِّ (— اِبْنُ الدُّبَيْثِيِّ، ص 195، 196؛ اِبْنُ الْعَدِيمِ، ص 9، 4262، 4269؛ اِبْنُ خَلْكَانِ، مج 2، ص 362). رُوِيَ عَنْهُ كَثِيرُونَ مِنَ الْمَشْهُورِينَ مِنْ بَيْنِهِمْ شِيخُ الشِّيَوخِ اِبْنُ سُكِينَةِ وَعَبْدِ الْكَرِيمِ السَّمْعَانِيِّ * (— اِبْنُ الْعَدِيمِ، ص 9، 4262). وَرَدَ اسْمُ حِيْص بِيْصَ أَيْضًا فِي سَنْدِ بَعْضِ الْرَوَايَاتِ (— اِبْنُ مَنِ، مج 9، ص 4262-4263). فَضْلًا مِنْ هَذَا الْمَقَامِ الْعَلْمِيِّ، أَقْبَلَ حِيْص بِيْص عَلَى الشِّعْرِ وَالْأَدْبَرِ، فَصَارَ عَلَمًا فِي عَصْرِهِ (عَمَادُ الدِّينُ الْكَاتِبُ، مَنِ، ص.ن؛ اِبْنُ الْعَدِيمِ، ص 9، 4269؛ اِبْنُ خَلْكَانِ، مج 2، ص 362-363).

الْمَعْلُومَاتُ الْأَقْدَمُ عَنْ حَيَاةِ حِيْص بِيْص هِيَ الَّتِي قَدَّمَهَا السَّمْعَانِيُّ (— ياقوت الْحَمْوَيِّ، مج 3، ص 1352-1353) وَعَمَادُ الدِّينُ الْكَاتِبُ (مَنِ، ص.ن)، الَّذِينَ درس كُلَّ مِنْهُمَا رِسَالَتِ حِيْص بِيْص وَأَشْعَارَهُ عَنْهُ. كَانَ حِيْص بِيْص يَمْدُحُ السَّلَاطِينَ وَالْخُلَفَاءِ وَالْأُمَّارِ وَكُبارِ الْشَّخْصِيَّاتِ (عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ — مج 1، ص 95، 101، 267)، لَكِنَّهُ لَمْ يَهُجْ أَحَدًا عَلَى الإِطْلَاقِ (فَرْوَخُ، مج 3، ص 369) وَكَانَ دَائِمًا يَرْاعِي الدِّينَ وَالْمَرْوَةَ فِي مَا يَنْظِمُ (ابن العَدِيمِ، ص 9، 4262). وَقَدْ صَرَّحَ فِي مُقْدَمَةِ دِيْوَانِهِ (مج 1، ص 71)، أَنَّهُ لَمْ يُشَهِّرْ بِأَحَدٍ أَوْ يَهُنْ أَحَدًا عَلَى الإِطْلَاقِ. كَانَ حِيْص بِيْص مُحْتَرِمًا جَدًا، وَقُورًا، رَفِيعُ الْخُلُقِ، يَسْتَخْدِمُ الْعَرَبِيَّةَ الْفَصْحَى فِي حَدِيثِهِ. وَكَانَ يَرْتَدِيَ الْمَلَابِسَ الْعَرَبِيَّةَ، وَيَضْعِفُ سِيفًا فِي حَزَامِهِ (عَمَادُ الدِّينُ الْكَاتِبُ، مَنِ، ص.ن، اِبْنُ الْعَدِيمِ، ص 9، 4269؛ الْذَّهَبِيُّ، 1401-1409هـ). اِسْتَقَادَ النَّاسُ كَثِيرًا مِنْ عِلْمِهِ وَفَضْلِهِ، لَأَنَّهُ كَانَ أَعْلَمَ مَعَاصِرِهِ بِالشِّعْرِ وَالْلَّهِجَاتِ الْعَرَبِيَّةِ (ابن الدُّبَيْثِيِّ، ياقوت الْحَمْوَيِّ، مَنِ، ص.ن، صص.ن). وَقَدْ امْتُدَّحَ عِلْمَهُ الْغَزِيرُ بِالْأَدْبِ وَالْلُّغَةِ وَالْفِقَهِ وَقَدْرَاتِهِ فِي فَنِّ الْمَنَاظِرِ (— اِبْنُ الدُّبَيْثِيِّ، ص 195، الْذَّهَبِيُّ، 1405هـ/1985م، مج 3، ص 65). كَانَ كَمَا يَقُولُ السُّبْكِيُّ (مَنِ، ص.ن) وَابْنُ حَجَرِ الْعَسْقَلَانِيِّ (مج 4، ص 34) مُتَقَوِّقًا فِي كُلِّ الْعِلْمَوْنَ، وَقَدْ أَشَارَ هُوَ نَفْسُهُ أَيْضًا إِلَى هَذَا الْأَمْرِ (— مج 1، ص 361، الْبَيْتُ 14).

اشتهر ديوان حيص بيص منذ زمن بعيد، وقد أشار العديد من المصادر والمراجع إلى شهرته شاعرًا وإلى ديوانه (من بينهم ← الذهبي، 1405هـ، م.ن، ص.ن؛ ابن كثير، ج12، ص301). ابن الجوزي (مج 18، ص253) سمي حيص بيص الشاعر الناقد، والسماعاني ذكر فصاحة لهجته، وخطة الجميل (← ابن العديم، مج9، ص4268). وقد أثروا على حُسن الابتداء وحسن التخلص في أشعاره (← عماد الدين الكاتب، مج1، م.ن، ص205؛ فرّوخ، م.ن، ص.ن)، ونقل البعض أيضًا الحسن من أشعاره (← ابن شاكر الكتبى، مج1، ص372؛ ابن كثير، م.ن، ص.ن). الإخوانيات من الأبواب الجديرة بالاهتمام في شعره (على سبيل المثال ← حيص بيص، مج1، المقدمة نفسها، ص56-57). وقد دونت المصادر أشعاره التي نظمها على البديهة (على سبيل المثال ← ياقوت الحموي، مج3، ص1354-1355؛ ابن خلّان، مج6، ص236-237). وقد أورد المؤلفون شواهد من أشعار حيص بيص أمثلة على الآراء الأدبية (← ابن الأثير، مج2، ص171-170؛ ابن أبي الحديد، ص204) وبحث المجاز العقلي في علم البيان* (المراغي، ص357؛ عتيق، ص345). ملك النّهّاية أبو نزار كان يتمنى أن له بيتين من شعر حيص بيص بدلاً من شعره كله (← ياقوت الحموي، مج2، ص873؛ ابن العديم، مج9، ص4267).

معظم أشعار حيص بيص في المدح والفخر والمراثي، ولديه أيضًا شعرًا في الوصف والغزل والحكمة (فرّوخ، م.ن، ص.ن). عدّ مضمون بيتهن من شعر حيص بيص نقلها الدّميري (ج1، ص187) عن المرض وعلاجه على أساس التجانس، هو نفسه طريقة المعالجة المثلية أو الطب التجانسي¹ الذي وضع حجره الأساس الطبيب الألماني صموئيل كريستين هاثمان² (المتوفى سنة 1843هـ/1258م) (المزيد من التفصيل ← د.أ.د. التركية، المادة نفسها؛ كيفيت³، ص604 وما بعدها).

جمع عماد الدين الكاتب منتخبات من أشعار حيص بيص للمرة الأولى بالترتيب الألفبائي (← مج1، م.ن، ص350-206)، بعد ذلك نشر مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر أشعاره كله في ثلاثة مجلّدات في 1366-1394هـ/1974-1957م في بغداد. كان نشر حيص بيص ممتازًا أيضًا، حتى عدّ أشباهه قلة (← ابن كثير، م.ن، ص.ن). بلاغة رسائله لافتة للانتباه (← ابن الدبيثي، ص196؛ الذهبي، 1409-1401هـ/1981-1989م، مج21، ص62)، وقد أورد مقتطفات من تلك الكتابات

¹ Homeopathy

² S.C. Hahnemann

³ Gevitz

كُلّ من عماد الدين الكاتب (مج 1، م.ن، ص 202-204-351-366)، ياقوت الحموي (مج 3، ص 1353-1354) وابن خلّakan (مج 5، ص 146). رُوِيَ في كتب السير عدُّ من الحكايات عن عداوة ابن قطّان وكرهه لحيص بيص (على سبيل المثال ← ابن العديم، مج 8، ص 4270؛ ابن أبي أصيّحة، ص 380-387؛ ابن خلّakan، مج 6، ص 54-57). كان حيص بيص كثير الأسفار وذكرت المصادر سفره إلى كُلّ من الشام وحلب وواسط وإصفهان والحلة (← ابن الدبيسي، م.ن، ص.ن؛ ابن العديم، مج 9، ص 4262-4269؛ ابن حَجَر العسقلاني، مج 4، ص 34). وفي ديوانه إشارات إلى سفره إلى مراغة ومردو وسرخس وهمدان (← حيص بيص، مج 1، ص 228، 232، 267، 355).

عَدُّ البعض حيص بيص شافعِيًّا (← ابن خلّakan، مج 2، ص 362؛ الذهبي، 1401-1409هـ/1981-1989م، م.ن، ص.ن)، لكنَّ هنالك مستندات تاريخية تدلُّ على تشيعه وهي : دفاعه عن أبي طالب عليه السلام، عم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، في مجلس الوزير يحيى بن هُبَيْرَة، زمن العُبَاسِيِّين (الموسوي، ص 410-412)؛ نظمه أبياتاً في فضائل الإمام علي عليه السلام (← ابن شهر آشوب، مج 2، ص 95، 252)؛ الإشارة إلى حادثة غدير خم وبعض كرامات أمير المؤمنين (حِصْ بِيْصُ، مج 1، ص 131، الأبيات 48-55)؛ نظمه مقطوعةً يستذكر فيها مقتل العلوبيين وسفك دماء الأمويّين (ياقوت الحموي، مج 3، ص 1355؛ ابن العديم، مج 9، ص 4266-4267)؛ ابن خلّakan، مج 2، ص 364-365 وعدد كبير من المصادر الأخرى)؛ نظم أشعار في رثاء الإمام الحسين عليه السلام؛ والقسم باسم أهل البيت عليهم السلام (← ابن خلّakan، مج 2، ص 363؛ الأغا بزرگ الطهراني، ص 123). فضلاً عن التصريح بأنَّ حيص بيص إماميًّا (← ابن حَجَر العسقلاني، م.ن، ص.ن).

توفَّيَ حيص بيص في الثانية والثمانين من عمره، وتتفق جميع المصادر على أنَّ وفاته كانت في العام 574هـ. صُلِّيَ على جثمانه في المدرسة النظامية ودُفِنَ في باب التبن (← ابن كثير، م.ن، ص.ن)، في القسم الغربي من مقابر قريش (مدينة الكاظميّين الحاليّة) (ابن العديم، مج 9، ص 4271؛ ابن خلّakan، مج 2، ص 365). معظم المصادر صرّحت أنَّ حيص بيص لم يخلف ولداً (على سبيل المثال ← ابن الدبيسي، ابن خلّakan، م.ن، صص.ن؛ ابن كثير، مج 12، ص 301-302)، لكنَّ ابن العماد (مج 4، ص 247) ذكر ابنًا وبناتاً لحيص بيص، وذكر لهما لقبين غريبين، هذان اللقبان ورداً في المصادر الأخرى لأخيه وأخته (← ابن العديم، مج 9، ص 4270؛ ابن حَجَر العسقلاني، مج 4، ص 34). لابن الأنباري (المتوفى

سنة 577هـ) كتاباً حول حيص بيص (السيوطى، مج2، ص87)، ليس في متداولنا، كذلك نوقشت رسالة ماجستير حول حيص بيص وأشعاره في العام 1407هـ/1987م في جامعة الموصل (← معجم العبايس، ص146).

المصادر والمراجع: محمد محسن آغا بزرگ الطهراني، طبقات أعلام الشيعة: التفاصيل العيون في سادس القرون، ط. علي نقى منزوى، بيروت 1392هـ/1972م؛ ابن أبي أصيبيعه، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، ط. نزار رضا، بيروت [1384هـ/1965م]؛ ابن أبي الحميد، الفلك الدائري على المثل السائر، ط. أحمد حوفي وبدوي طبانه، الرياض 1404هـ/1984م؛ ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ط. أحمد حوفي وبدوي طبانه، الرياض 1403هـ/1983-1984م؛ ابن الأنباري، نرفة الأنبياء في طبقات الأدباء، ط. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة [؟ 1386هـ/1967م]؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط. محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت 1412هـ/1992م؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ط. عبدالفتاح أبو غده، بيروت 1423هـ/2002م؛ ابن خلّكان؛ ابن دببى، المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدببى، اختصار محمد بن أحمد الذهبي، في أحمد بن علي خطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ط. صدقى جميل عطار، مج 15، بيروت 1424هـ/2004م؛ ابن شاكر كتبى، فوات الوفيات، ط. إحسان عباس، بيروت 1973هـ/1392-1393هـ؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ط. يوسف بقاعي، قم 1385هـ/2006م؛ ابن صابونى، تكميلة إكمال الكمال في الأنساب والأسماء والألقاب، ط. مصطفى جواد، [بغداد] 1377هـ/1957م؛ ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ط. سهيل زكار، بيروت [؟ 1408هـ/1988م]؛ ابن العماد؛ ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، [القاهرة] 1358-1351هـ/1963-1970م؛ ابن منظور؛ ابن نقطة، تكميلة الإكمال، ط. عبد القيوم عبد رب النبي، مكة 1408-1418هـ/1988-1998م إسماعيل بن حمداد الجوهرى، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، ط. أحمد عبد الغفور العطار، بيروت [لاتا]، ط. أوفست طهران 1368هـ [1989م]؛ حيص بيص، ديوان الأمير شهاب الدين أبي الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي البغدادي، المعروف بـ «حيص بيص»، ط. مكي السيد

جاسم وشاكر هادي شكر، [بغداد 1394-1974هـ/1975م]؛ محمد بن موسى الدميري، حياة الحيوان الكبير، القاهرة 1390هـ/1970م، ط. أوفست قم 1364ش [1985م]؛ محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط. شعيب أرناؤوط وآخرون، بيروت 1401هـ/1981م؛ نفسه، العبر في خبر من غبر، ط. محمد سعيد بن بسيوني زغلول، بيروت 1405هـ/1985م؛ عبد الوهّاب بن علي سبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ط. محمود محمد طناحي وعبد الفتاح محمد حلو، [القاهرة 1383-1395هـ/1964-1976م]؛ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1384هـ/1995م؛ عبد العزيز عتيق، علم المعانى، البيان، البديع، بيروت: دار النهضة العربية، [لاتا].؛ محمد بن محمد عماد الدين الكاتب، جريدة القصر وجريدة العصر، ج 1، قسم شعراء العراق، جزء 1، ط. محمد بهجة أثري، [بغداد 1375هـ/1955م]؛ عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج 3، بيروت 1409هـ/1989م؛ أحمد مصطفى مراغي، علوم البلاغة: البيان والمعانى والبديع، القاهرة 1420هـ/2000م؛ معجم الشعراء العباسيين، إعداد عفيف عبد الرحمن، بيروت: دار صادر، 2000م/1420هـ؛ فخار بن معن الموسوي، إيمان أبي طالب، المعروف بكتاب «الحجّة على الذاهب إلى تكبير أبي طالب»، ط. محمد بحر العلوم، بيروت 1408هـ/1987م؛ أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، ط. محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت 1407هـ/1987م؛ مجتبى مينوي، يادداشت‌های مینوی [مذکرات المینوی]، بجهود مهدي قریب ومحمد علي بهبودی، طهران 1375ش [1996م]؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ط. إحسان عباس، بيروت 1413هـ/1993م؛

باقر فرباني زرّين/

أجنبي.....